ويجب ايضاً ان يكونوا على استعداد واحد للجري على هذا الاسلوب الواحد. والمشاهد الذي لا يختلف فيه اثنان ان الناس لا يستطيعون ان يجروا على اسلوب واحد من الدرس والحفظ ولا يبلغون بلغاً واحداً من بلاغة الانشاء ويجرون على اسلوب واحد. والرأي الصواب هو ان العقول تختلف كاختلاف الوجوه وهذه الوسائل التي ذكروها تعلّم المرء صناعة الكتابة وصناعة الشعر وتجيد انشاءه حتى يكون صحيحاً مقبولاً ولكنها لا تجعله من طبقة كبار الكتّاب وكبار الشعراء كما ان علم الموسيقى لا يجعل كل احد مثل عبده ومحمد ونو مارس الغناء العمر كله

ثم ان اللغة العربية التي تكتبها في غير البلاد التي اكثرها والثانية مشتقة من الاولى كما لا يخفى ولكن اللغات كلها مشتقة بعضها من بعض ومتى بعدت لغة قوم عن لغة أسلافهم بمقدار ما بين العربية العامية والعربية المعربة جاز تسميتهما لغتين لا لغة واحدة. والكاتب بالعربية المعربة من ابناء هذا العصر يضطر ان يتعلمها تعلماً كما يضطر الايطالي الآن ان يتعلم اللغة اللاتينية اذا اراد ان يكتبها ان ان الذين تعلموا العربية المعربة وتخرجوا فيها وجدوا من المشقة في ذلك مثلما وجدوا في تعلم لغة اجنبية كالفرنسوية او الانكليزية. فلا تصير لنا ملكة العربية الآن ما لم ندرس قواعد صرفها ونحوها وبيانها ونكثر من مطالعة كتبها البليغة نظماً ونثراً شأن كل من يريد ان يتعلم لغة اجنبية لم يرضعها من اللبن. واذا فعل ذلك كله لم نبرع في الانشاء الا اذا كان فينا استعداد فطري لهذه البراعة ثم لا تكون البراعة تامة ما لم نتسع معارف جدًّا والا بقي ما ننشئه نثراً مزوقة لا لب فيها

اما الكتب التي تجب مطالعتها في كل لغة لتربية ملكة الانشاء فيها فهي الكتب التي لها اعظم سلطة على عقول اهلها او التي تستظهر اكثر من غيرها كالتوراة في الانكليزية والقرآن في العربية وبعض الكتب النثرية والشعرية التي ذكرها ابن الاثير وابن خلدون. وقد ذكر هربرت سبنسر كتباً تقابلها بالانكليزية والفرنسوية والايطالية لا حاجة بنا الى ذكرها هنا

البرابرة ولغتهم

مقام حضرة نعوم بك شقير

ان القوم الذين يطلق عليهم الآن اسم "البربرة" هم سكان وادي النيل بين الشلال الاول والرابع الذين يتكلمون بغير العربية. وهم في الاصل من ثلاثة اجناس نوبة وعرب واتراك. فالنوبة من بقايا سكان اثيوبيا وقد تنصروا في القرن السادس للميلاد وانشأوا ممالكين

واحدةً في النوبة السفلى عاصمتها دنقلة وواحدةً في النوبة العليا عاصمتها سوبة وهي على النيل الازرق تبعد عن الخرطوم ١٥ ميلاً . ولما فتح العرب مصر توالت غزواتهم على بلاد النوبة السفلى ففتحوها سنة ٧١٧ للهجرة ثم فتحوا النوبة العليا سنة ٩١٠ للهجرة وانخنوا في اهلها ولم يبقوا منهم الاَّ بقية صغيرة جدًّا فامتزجت بالفاتحين وفقدت لغتها ولكن جنسيتها لم تفقد حتى الآن. اما النوبة السفلى فبقي اهلها محافظين على جنسيتهم وعلى لغتهم ايضًا

هذا من حيث اصل النوبة اما العرب الذين يتكلمون رطانة البرابرة فكنوا البلاد بعد فتح النوبة السفلى واقتبسوا لغتها وهم اكثر كثيرًا من اهل النوبة الاصليين ونسبتهم اليهم كنسبة ستين الى واحد . فاكثر البرابرة عرب ولعلَّ السبب في اقتباسهم لغة النوبة مع انهم الفريق الاكبر هو انهم استوطنوا تلك البلاد جماعات صغيرة في ازمنة مختلفة فكلما دخلت جماعة منهم اقتبست لغة السكان فنُسيت العربيَّة وبقيت لغة النوبة

واما الاتراك فمن ذرية الخامیات الثلاث (حامية اسوان وحامية ابريم وحامية جزيرة سای) التي ارسلها السلطان سليم الفاتح بعد فتحه مصر فان هؤلاء امتلكوا البلاد من الشلال الاول الى الثالث وتعلموا لغة اهلها وبقيت في حوزتهم الى ايام محمد علي باشا وكان لهم مزايا خصوصيَّة على السكان بقيت الى الفتح الاخير

وكان للنوبة لغتان من ايام المقريزي كما ذكر في تاريخه ولا يزال لهم لغتان حتى الآن الاولى لغة الدناقلة وهي لغة النوبة بين الشلال الثالث والرابع جنوبًا وبين السبوع والشلال الاول شمالاً والثانية لغة المحس ومكوت وهي لغة النوبة في هذين البلدين بين الشلال الثالث والسبوع. ولعلَّ السبب في كون لغة القسم الشمالي مثل لغة القسم الجنوبي وكلتاهما تخالف لغة القسم المتوسط بينهما ان ملوك النوبة الذين كانت عاصمتهم (دنقلة) في القسم الجنوبي كانوا يرسلون حاميات منهم الى الجهات الشمالية فصارت لغتها مثل لغتهم. والاختلاف بين هاتين اللغتين كالاختلاف بين لغتين من اصل واحد كما بين الانكليزية والالمانية . واهل اللغة الواحدة الذين يخالطون اهل اللغة الاخرى يتكلمونها مثل اهلها . والذين يخالطون العرب من الفريقين يتكلمون العربية ولكنهم يتكلمونها كما يتكلمها الاعاجم. واما اللغة التركية فقد نسيت تمامًا ولم يبقَ من يتكلمها منهم

وقد اختلف الباحثون في اصل لغة النوبة فمنهم من قال انها لغة افريقية وان النوبة انفسهم اتوا هذه البلاد من جبال النوبة الى الجنوب من كردوفان وهي في رأي الدكتور هايس لغة مملكة مروي القديمة بدليل المشابهة بين بعض الفاظها والفاظ لغة مروي التي حفظت في التاريخ الى الآن ومنهم من قال غير ذلك والله اعلم